يا صُبح يا صُبح

يا صُبحُ يا صُبحُ إنَّ النومَ قد ذهبا ... وطالَ سُهدي، وساءَ السُّهْدُ منقلَبا

ألِفتــهُ وتقاســمْنا الوفــاءَ فــإنْ ... نــأى رأيــتَ فــؤادي إثْــرَه ذهبــا

تمرَّستْ فيه نفسي فهو لي سَكنٌ ... ما كانَ أكرمَ حُبّاً حَبَّبَ الوَصبا!

أعيشُهُ اليومَ بعدَ الأربعين أسىً ... وكانَ لي في الصِّبا المقهورِ إلْفَ صِبا

فراشيَ القلقُ الأعتى، وسامرتي ... منْ ألفِ عامٍ أراها تحملُ الحطبا

تكدَّسَ الليلُ فوقَ الليل في طُرقي ... واسوَدَّ، وامتدَّ حتى لَيَّلَ الشُّهبا

وحوليَ القومُ أغفوْا ـ عفوَ غفوتهم ... طالتْ، وقمتُ عليها حارساً حَدِبا

لا صحوةُ القومِ تُرجى، لا ولا مُقَلي ... أغفتْ، ولا أنا قدْ أدَّيتُ ما وجَبَا

يا صُبحُ يا صُبحُ إنَّ النومَ قدْ ذهبا ... وأورثَتْني همومُ الأمَّةِ النَّصبا

فلا تَرُعْكَ جراحاتي وكثرتُها ... فخلفها ألفُ جرحٍ يَقذِفُ اللَهبا

ولا يَرُعْكَ انفرادي وحشةً وأسىً ... وأنني بينَ أهلي عشتُ مغتربا

عُمْرٌ تقضَّى على ما كانَ منْ أملٍ ... فلا اقتربتُ، ولا من مُقلتي اقتربا

كم ذا اجتهدتُ وكم جاهدتُ محتسباً ... وكمْ صبرْتُ، و كمْ عانَيْتُ ما صَعُبا!

ما كانَ أشقاهُ عُمراً ضاعَ من عُمري ... لو لمْ أكنْ بإلهِ العرشِ مُحتسِبا!!

ما ضرَّني حِقبةٌ من عمْريَ انصَرمتْ ... ما دمتُ أملِكُ في دُنيا الهدى حِقَبا!

يا صبحُ يا صبحُ للأقدارِ حكمتُها ... فلا تملَّ إذا لم نحرزِ الغَلَبا

حسْبُ الرجولةِ أقدامٌ لنا دَميتْ ... على الطريق..ولم نستشعرِ التَّعَبا

وأنَّ دربـاً حَفينا فوقها زمناً ... حُبّاً بها قد رفضنا القَزَّ، والذّهبا

تبقى على الدهر أعمالٌ لنا سَلِمَتْ ... لكي تقولَ بأنّا لم نكُنْ ذنَبا

يا صبحُ يا صبحُ إنَّ النومَ قدْ ذهبا ... وما عَتبْتُ فعتْبي يُغضبُ الهُدبا

أنا الذي اخترتُ دربي راضياً، وأنا ... رأيتُ كلَّ عذابي فيهِ قدْ عَذُبا

حسبي وحسبُكَ مني أنَّ لي خلَداً ... رغمَ الأذى لم يضِقْ ذَرْعاً ولا عَتبا

يسلسلُ الشِّعْرَ ألحاناً تذوبُ جوىً ... ونبعُ إلهامهِ القدْسيِّ ما نضَبا

وكلُّ شعرٍ أتى من قلبِ مبدعِهِ ... سرى إليكَ وفي أعماقكَ انسكبا

قد تنفُرُ الأذنُ من صوتٍ بهِ طربٌ ... وقدْ تُحِسُّ بصوتٍ صاخبٍ طربا

يا صُبحُ يا صُبحُ إنَّ النومَ قدْ ذهبا ... وقدْ تعاظَمَ ما للقومِ قدْ وجبا

لا النصحُ يُجدي،ولا في القومِ ذو رَشَدٍ ... فيُسْتَثارُ لِما من أمرنا حَزبا

قدْ وحَّدَ القومَ حبُّ الذلِّ في زمني ... فكلُّهم يتشهّى لثمَ مَنْ ضَربا

ماتَ الإباءُ بنا... فارتاحَ غاصبُنا ... هيهاتَ تلقى أبيّاً ثارَ، أو غضِبا

ياصُبحُ يا صُبحُ إنَّ الهمَّ قد غَلَبا ... فلا يَرُعْكَ فؤادي ضجَّ أوْ وَثَبا

فما استقرَّ، ولا أغرتْهُ بارقَةٌ ... عنْ همِّ قومي..ولا مثلَ القلوبِ صبا

حزني على الأمسِ،خوفٍ من غدي اجتمعا

فألهبا في فؤادي اليأسَ فاضطربا

ياصبحُ عفوكَ ما حزني بمنقطعِ ... ولا إخال شكاتي تُذهِبُ النَصَبا

حبٌ وهبتُ لهُ عمْري وأوجعُ ما ... يُجزى به واهبٌ إنكارُ ما وَهبا

يا صبحُ يا صبحُ طيفُ النومِ قدْ غرَبا ... ونورُ كلِّ نجومِ الأمنياتِ خَبا

أناملي العشرُ قد أشعَلتُها قبساً ... للمدلجينَ فصبّوا حقدَهمْ سُحُبا

أكادُ أذوي عليهمْ حسرَةً، وأسىً ... وما رأيتُ لما بي منهمو حَدِبا

لا تعجبنْ منْ شكاتي فهي هيِّنةٌ ... فقصْرُ أخلاقنا من ركنهِ خربا

ضاعتْ عقيدتُنا في كهفِ غربتنا ... وبدرُ آمالنا من أفقنا غَربا

في كلِّ بيتٍ ترى ناراً مُسعَّرةً ... وقد جعلنا عليها أهلَنا حطبا

غداً سينفدُ أهلونا وبعدَ غدٍ ... كما فعلنا بهم نغدو بها لهبا

يا صُبحُ يا صبحُ إنَّ الليلَ قد تعبا ... فهلْ أرى لذيولِ الليلِ مُنقضبا!

يا صُبحُ يا صبحُ أُذْني ألفُ مُصْغِيَةٍ ... إلى أحاديثِ عزٍّ قد تثيرُ إبا

كم ذا أحنُّ إلى استلهام ملحمةٍ ... السيف يسبق فيها الشعرَ والخُطبا

ويصدقُ العزمُ فيها صدقَ معتصمٍ ... رأسُ العدوِّ غدا لما انتخى تَربا

طالَ اشتياقي وهذا الكونُ مرتقِبٌ ... يرجو لقومي أياربَّ الهُدى سَبَبا

أكادُ أذوي وموجُ اليأسِ يغلبني ... لولا استقرَّ بقلبي منْ لَدُنْكَ نبا

إنَّا لننصرُ منْ قد آمنوا وأرى ... نصراً وعدتَ بهِ يارباً مقتربا

لكنَّ مَن يدَّعونَ النصرَ قدْ كذبوا ... أُجِلُّ نصرَكَ أنْ يؤتى لمنْ كذِبا

يا صبحُ يا صبحُ قومي. آهِ واعجبي ... من حالةٍ حيَّرَوا في أمرها العَجبا

على هداكَ غَدونا أمَّةً وثبتْ ... تُعِزُّ بعدَ شتاتٍ بالهُدى الحِقبا

بالأمسِ كانتْ ملوكُ الأرضِ ترهبُها ... والناسُ تخطُبُ منها وُدَّها رغَبا

كانت على رغم ما امتدَّتْ وما حكمتْ ... أمّاً رؤوماً، وكانتْ للأنامِ أبا

لم تُبْدِ ظُلماً، ولم تُغفِلْ عدالتُها ... خصْماً، وكم نالَ حقّاً بعدَ أنْ غُلِبا

تشعبتْ في بقاعِ الأرضِ تعمرُها ... وجيشُها حكمَ الدنيا وما انشعَبا

واليومَ نحيا كأنّا لم نكنْ أبداً ... لا مُسلمينَ أعزّوا الأرض، لا عربا

الذلُ نحسبهُ من ضعفنا أدَباً ... ومنهجاً حققَ الآمالَ والأربا

والعزُّ يسخرُ منّا حين نذكرُهُ ... حتى الترابُ تشكّى رأسَنا التربا

تفنَّنَ القومُ من ملءِ البطونِ وما ... أبقوْا لذلك لافَنّاً ولا سَببا

واستوردوا كلَّ ما في الأرضِ من بِدَعٍ ... وأبدعوا في اللباسِ الوشيَ والقَصَبا

والروحُ تشكو خواءً لا حدودَ لهُ ... والفكرُ تلقاهُ مجلوباً، ومُضطربا

نُفَلسِفُ الجهلَ عن علمٍ ونعبدُه ... وكم نزوِّرُ في إرضائهِ الأدبا

ونهـدرُ المـالَ فيمـا لا انتفـاعَ بـهِ ... وكـم يَعِـزُّ إذا للخـيرِ قـدْ طُلِبـا!

ونقبـلُ الضُّـرَّ في قـولٍ وفي عمـلٍ ... ونحـنُ نعلـمُ أنّـا نحصـدُ العطبـا

ونبعـدُ النفـسَ عمّـا يبتنـي غدَهـا ... ولا نحـسُّ حيَـاءً حـولَ مـا ارتكبِـا

ونورثُ الجيلَ باسمِ العلمِ كل عمىً ... وندَّعـي أنْ أزلنـا الجهـلَ والحُجُبـا

والحـقُّ والهَفـي للحـقِّ نهجـرهُ ... ونسـتكينُ إذا مـا ضـاع أوسُـلِبا

ألـدُّ أعدائنـا يحتـلُ منزلَنـا ... ونحـنُ في بيتنـا عـن أهلِنـا غُرَبـا

الأغنيـاتُ غـدَتْ للحـربِ عُدَّتِنـا ... فليـسَ إلاّ بهـا نسـتعجلُ الغَلَبـا

إذا شدتْ في كهوفِ الليلِ بنتُ هوىً ... كنّا السـكارى، ونمنـا عامنـا طربـا

وليـسَ إلاّ بهـذا السُـكْرِ مـنْ أمـلٍ ... في جمعِ أشتاتِ قومٍ شوَّهوا النَسبا

القدسُ ضاعتْ، وضاعتْ قبلها قيمٌ ... فألفُ قدسٍ بقلبي تشتكي السَّلبا

مـاذا أُحـدِّثُ عنهـا!! آهِ مـن زمـنٍ ... عـمَّ الجفـافُ وأُمطرنـا بـه نُوَبـا

تبدَّلـت قيـمُ الإنسـانِ وانقلبـت ... فكـلُّ أمـرٍ تـراهُ اليـومَ منْقَلِبـا

فكمْ ترى الرأسَ ذيلاً أو ترى ذنباً ... قد صار في الرأسِ؟ آهِ كمْ ترى ذَنَبا!!

هيهاتَ تلقى بقومي مُخلصاً عملاً ... إلاّ وضُيِّـعَ مفتونـاً، أو اغتربـا

المبدعـون تراهـم شُـتِّتوا وقضَـوْا ... والأرذلـونَ اسـتحالوا قـادةً نُجَبـا

والعـالمونَ غَـدَوْا بوقـاً لظالمنـا ... فمنتهـى علمهـم تـبريرُ مـا ارتَكبـا

والتُرَّهـاتُ غـدتْ للحكـم معتَمـداً ... فليـسَ إلاّ عليهـا يمنـحُ الرُّتَبـا

الجاهليـــةُ عـــادتْ ألـــفَ جاهلـــةٍ ... وصـــار كـــلُّ يقـــينٍ عندنـــا ريَبـــا

للجاهليـــــة أصنـــــامٌ محـــــدَّدةٌ ... وألـــفُ تمثـــالِ ربٍّ حولنـــا انتصبـــا

للجاهليـــةِ أصنـــامٌ توحِدُهـــا ... وجاهليتُنـــا صرنـــا بهـــا شُـــعَبا

أصنامُهـا لـم يكـنْ يُـؤذى بهـا أحـدٌ ... ونحـنُ نلقـى بهـا الإذلالَ والنَّصَبـا

يـا جاهليـةُ عفـواً أنـتِ مؤمنـةٌ ... وكفرنـا زادنـا فـوقَ العَمـاءِ غَبـا

وكـانَ منهـا علـى علاّتِهـا قيـمٌ ... ونحـنُ نقْتُـلُ فينـا الديـنَ والأدبـا

في كلِّ نفسٍ ترى الأحقادَ عاصفةً ... حتى طغى الحقدُ، فيها والهوى غلبا

فـلا الرجـالُ رجـالٌ حـينَ تطلبُهـا ... ولا النسـاءُ تراهـا تحضـنُ الزُغُبـا

بـاعتْ أنوثتهـا في سـوقِ شـهوتِها ... وعـرَّتِ الصدرَ باسـم الفـنِّ والرُكبـا

وأرخصـتْ كـلَّ مـا أغلتْـهُ فطرتُهـا ... فحبُّهـا الغـربَ أعمـى عقلَهـا وسـبى

لمـا أضـاعتْ ومـا صـانتْ أُمومتهـا ... عـانى المذلّـةَ هـذا الشـعب واكتأبـا

يذرو بـه القهـرُ، والتشـريدُ يجمعُـهُ ... فـالفكرُ منـه خَبَـا، والعـزمُ منـهُ كبَـا

مـا أتعسَ الجيلَ محروماً رعايتَهـا ... وأكـرمَ الجيـل مـن تحْنانِهـا شـربا!

يا صبحُ يا صُبحُ إنَّ الأمنَ قدْ صُلِبا ... فكـلُّ نفسٍ تعيـشُ الذعـرَ والرعُبـا

لـم يبـقَ للقـومِ مـن بُشـرى لمرتقِبٍ ... ومـا إخـالُ أرى في القـومِ مرتقِبـا

كـلُّ الحـرامِ غـدا حِـلا لقادتنـا ... ونحـنُ نجْتَـرُّ مـن تجويعنـا السَّغبا

بالظلمِ قد حكموا، بالبغي قد شُغِلوا ... بـالفتكِ قـد ملـؤوا أقطارَنـا رهَبـا

لوحدةِ الشعبِ قد جاؤوا ونُصْرَتِهِ ... وجاهدوا ليظلَّ الشعبُ منشعِبا

مَنُّوا عليهِ بحرِّياتِهِ انطلقَتْ ... وَحَدُّها أن يُجيدَ الرقصَ واللَّعِبا

يُحصونَ أنفاسَ منْ قد باتَ مُحتضِراً ... ويرهبون من الأمواتِ أنْ تَثبا

قد أبدعوا القمعَ دستوراً نُسَاسُ بهِ ... فالكلُّ يزهو بكم أفنى، وكمْ صلَبا

تفننُّوا في استلابِ الشعبِ لقمتَهُ ... باسمِ الجهادِ وياويلاهُ كم نُهِبا!

تحوَّلَتْ لبنوكِ الغربِ أرصدةً ... على العدوِّ جرتْ أنهارُها ذهبا

قد استحالت إلى تدميرنا عُدَداً ... وكادَ لفظُ اسْمها أن يوقعَ الهَرَبا

بها غزانا، بها ساقَ الفناءَ لنا ... بها استباحَ حِمانا، وازدهى عَجَبا

إذا الطغاةُ تمادَوْا في ضلالتهمْ ... فإنَّ كلَّ قصورِ الأمنياتِ هَبا

قدْ وحَّدَ الكفرُ أهلَ الكفرِ واعَجبي ... وصارَ أمرُ أولي التوحيدِ مُنشعِبا

ماكانَ ظلماً قضاءٌ حلَّ ساحتنا ... فليس يُجزى امرؤٌ إلاّ بما كسبا

يا صُبحُ يا صُبحُ إنَّ النومَ قد ذهبا ... فألفُ عذرٍ إذا أُنسيتُ ما وَجبا

لمنْ أبوحُ؟ وما جدوى النواحِ وهلْ ... يُجدي العتابُ إذا ناديتَ منتَحِبا؟

سُدَّت مسامعُ منْ يُرجى لمحنتِنا ... وخلفَ ألفِ جدارٍ وجهُهُ احتَجَبا

في كلِّ يومٍ ترى أرْضاً لنا سُلِبَتْ ... وكلَّ يومٍ ترى حقاً لنا اغتُصبا

وأمتي ألفُ شتى، ألفُ شِرذمةٍ ... وكلُّ شِرذمةٍ قدْ أصبَحَتْ عَرَبا

نشنُّ في كلِّ يومٍ ألفَ معركةٍ ... لكنْ تُشَنُّ على الأهلين واحربا

سيوفُنا في رقابِ الأهلِ قاطعةٌ ... وفي الحروبِ ترى أمضى السيوفِ نبا

نخشى عتادَ العِدى لوكان من خشبٍ ... وإنْ غزينا ترى فولاذَنا خشبا

كم ذا تمنّيْتُ والأعداءُ تهزمُنا ... في كلِّ معركةٍ أن نُحسنَ الهَرَبا

رعاتنا ما وَعوا يوماً ولا احترموا ... حقَّ الشعوبِ ولكنْ أتقنوا الكَذِبا

إذا اشتكى الشعبُ عُرياً وزَّعوا صُوراً ... أو اشتكى الشعبُ جوعاً طوّلوا الخُطَبا

لا يصلُحون لأمرٍ غيرَ أنهمو ... سَرُّوا العدوَّ غداةَ اختارَهُمْ لُعَبا

يا صبحُ للمسجدِ الأقصى قداستُهُ ... فحُبُّهُ نسبٌ... أكرِمْ به نَسبا!

قد كان قِبْلتنا الأولى وبارئُهُ ... إليه أسرى بمنْ مِنْ رسْلِهِ انتخبا

ومنه كانَ لهُ المعراجُ مُعجزَةً ... لم تبقِ في الدهرِ شكّاً لا، ولا ريَبا

فيها رأى ما أراهُ اللهُ عن كَثَبٍ ... وقابَ قوسينِ أو أدنى قد اقتربا

إسراؤه كانَ، والمعراجُ شمسَ هدى ... يظلُّ فيضُ سَناها يَهتِكُ الحُجُبا

إسراؤه منهُ والمعراجُ كان لنا ... أمراً من الله أن نبقى له النُّجُبا

نفديه، نمنعُ بالأرواحِ تُربتَهُ ... نفنى ولا ساعةً نلقاهُ منتحِبا

يا صبحُ مسجدُنا الأقصى يدنِّسهُ ... رجسُ اليهودِ، وقومي حالفوا اللَّعبا

نغفو على أعذبِ الأحلامِ حين غدا ... يبكي ويندُبُ محروقاً ومنتَهَبا

ما حرَّكت ساكناً فينا مصيبتُهُ ... ولا شكونا، ولم يلقَ الذي شَجبا

لا المالُ ننفقُهُ من أجلِ نصرتِهِ ... ولا نُقِرُّ فدائياً له غَضِبا

وواحـدٌ مـن ألـوفِ الأثريـاءِ بنـا ... لـو شاءَ جهَّزَ جيشاً يَضْمَنُ الغَلَبا

يا صُبحُ عفوَكَ ما شكواي منْ جَزَعٍ ... لو أنَّ ما بيَ مَسَّ الصخرَ لانعطبا

همـومُ قومـي مذيبـاتٌ وأخطرهـا ... ألاّ تـرى شـاكياً منهـا ومنتَحِبـا

يا صُبحُ يا صُبحُ أمرُ الله قد غَلَبا ... فعفـوَ ربّـي إذا لـم أُحسِـنِ الأدَبـا

يـا صبـحُ هـذي همـومٌ لا أعدِّدُهـا ... فهـي الحصـادُ لمـن في زَرْعهـا تَعِبـا

هـذي الهمـومُ بقلبـي كلُّهـا نزلـتْ ... وقـدْ رأتْ في فـؤادي مـنزلاً رحُبـا

فكـلُّ مـنْ آمنـوا أحزانهـم حَزَنـي ... وكـم أحسُّ إذا نـالوا المنـى طربـا!

علّـي أرى خيرَ خلـقِ الله يشـفعُ لـي ... لِما حملـتُ، ومـا ألقـى، ولـو صَعُبـا

إني اجتهـدتُ وحسبي أن أكونَ إلـى ... مـا كـانَ يرضـي رسـولَ اللهِ مُقتربـا

يا صُبحُ يا صُبحُ لو أنَّ المنى جُمِعَتْ ... وكـان للقلـبِ أن يختـارَ مـا طلبـا

لكـانَ كـلُّ رجـائي أن يجـيء غـدٌ ... ولا يُـرى مسـلمٌ في الأرضِ مكتَئبـا

وليـسَ ذاكَ عزيـزاً إن نَرُمـهُ بمـا ... مـن بعـدِ ذلٍّ، وضعـفٍ وحَّـد العَرَبـا

هـو السـبيلُ ولا والله ليـسَ لَنـا ... إلاّ بمنهجـهِ أن نبلُـغَ الأَرَبـا

يـا صبـحُ يـا صبـحُ في أقوالنـا ظمـأٌ ... فكيـف نُذهِـبُ جوعـاً هـدَّدَ الكُتُبـا؟

نُملـي مـن الكُتْـبِ آلافـاً مؤلَّفَـةً ... ولا نُحـسُّ بهـا معنـىً، ولا أدبـا

وقولـةٌ مـن رسـولِ اللهِ واحـدةٌ ... تمضي القرونُ، وتبقـي روحَ مـا كُتبـا

كـم أيقظـتْ أُممـاً طـالَ الرقـادُ بهـا ... وجدَّدتهـا فنـالتْ بعدهـا الغَلَبـا!

وكم أزالتْ مِنَ الدُنيا جبابرةً ... لَما بغَتْ، وأرَتْها الهولَ منتصبا!

وكم أعادتْ لذي شكٍ بصيرتَه ... وكمْ أزالتْ فما أبقتْ بنا ريَبا!

وتغمُرُ الأرضَ والأكوانَ حِكمتُها ... ولم تغادرْ لعلمٍ نافعٍ سببا

والباحثون ومنْ للعلم قد نَهدوا ... ومن أضاعوا بعلمٍ واحدٍ حِقَبا

والبالغونَ من الدُنيا مراتَبها ... والمانحونَ بها الألقابَ والرُتبا

لم يبلغوا بعضَ ما قد قالَ أحمدُنا ... وهو الذي عاشَ أميّاً وما كتبا

وقولهُ الحقُّ عبرَ الدهرِ ما شُجبا ... ولا ارتضى الحقُّ إلاَّ نهجَهُ نسَبا

يا صُبحُ يا صُبحُ أعلِنْها بلا وَجَلٍ ... إني أرى الجيلَ للأوهامِ قد جُذِبا

تهيَّأتْ كلُّ أسبابِ الضياعِ لهُ ... ولم نهيءْ لما يُجدي ولو سَببا

وليس ينفعُ شعباً جيلُهُ خَرِبٌ ... أنْ يملكَ الأرضَ أو أنْ يغزوَ الشُهبا

يا صُبحُ يا صُبحُ إنَّ الليلِ قد تعبا ... وآنَ للَّيْلِ أنْ نلقاهُ منقضِبا

مهما وَهى، ونأى عنكَ الضياءُ بَدا ... رغمَ الظلامِ شُعاعٌ يهتِكُ الحُجُبا

إني أرى في رؤى الآتين ألفَ سَنا ... وألفَ شمسٍ تُمنّي بالهدى العَربا

فيا رؤى الجيلِ بوركتِ الرجاءَ ويا ... ليلَ الخفافيشِ إنَّ الصُبحَ قد قَربا

يا ربِّ عفوَكَ عنْ همٍّ أُكابدُهُ ... فقد أطلتُ، وما وفَّيتُ ما وجَبا

يا ربِّ ردَّ إلى التوحيدِ أُمتنا ... لعلَّها تُرجِعُ المجدَ الذي ذَهبا

أدعوكَ ربي وقد عزَّ الرجاءُ، ولا ... أرى سواكَ مجيراً يكشِفُ النُوَبا